رسالة المربى

صلتها بأهداف التربية الأخرى ... التربية الاجتماعية ... التربية الخلقية التربية البدنية

للأستاذ كمال السيد درويش

إذا كانت تلك هى رسالة المربى فى الحياة فما هو موقفها من أهداف التربية الأخرى ؟ سنبدأ بالكلام عن موقفها من التربية الاجتماعية لأنها من أهم الأهداف التى تتردد على الألسن فى الوقت الحالى

إن الصيحة التى انبعثت تنادى بضرورة الاهتمام بالتربية الاجتماعية هى نتيجة طبيعية للأحوال المضطربة التى يجتازها المجتمع فى العصر الحالى . إن الإنسان مضطر إلى الحياة مع غيره من الناس فهو كائن اجتماعى والمجتمع نتيجة حتمية لوجود الإنسان . ومع الحياة فى المجتمع تتعقد الأمور وتتعارض، وتنمو المشاكل ، ولقد كانت مشاكل المجتمع البدائى بسيطة سهلة ومع ذلك حاول الإنسان التخلص منها فابتكر واخترع وكان يأمل من وراء ذلك إلى توفير جهوده مع تحقيق أكبر قسط ممكن من السعادة . وعلى عكس ما كان منتظرا لم يأت كل اختراع جديد إلا وفى طياته من المشاكل الظاهرة والخفية مازاد فى آلام الإنسانية ومتاعبها حتى أصبحنا فى القرن العشرين نعانى من الآلام والويلات وبجانبه من الأزمات ما أكد لدينا أن المجتمع الإنسانى قد أصبح مريضا حتى أصبحنا الآن نفكر فى علاج هذا المجتمع المريض . ولما كانت التربية من أهم وسائل العلاج ، فقد انبعثت الصيحة ؛ تلك الصيحة القوية التى نادت ولا تزال تنادى بضرورة الاهتمام بالتربية الاجتماعية بل وبجعلها هدف التربية الأسمى

وتقف رسالة المربى من هذه الصيحة موقفا آخر غير موقف المؤيدين . ذلك أن أنصار هذا الهدف سيخضعون كل وسائل التربية لتحقيق هذا الهدف الذى سيصبح تقليدا جامدا وديكتاتورا متحكما يقف فى وجه التطور والتقدم، وسيقتل النمو وهو مايتنافى مع رسالة المربى . تنظر رسالة المربى إلى التربية الاجتماعية من وجهة نظرها الخاصة بمواصلة النمو . هى تنظر إلى التربية الاجتماعية لا على أنها هدف فى ذاته؛ ولكن على أنها وسيلة إلى هدفها هى، فالتربية الاجتماعية تؤدى إلى إيجاد التوافق الاجتماعى الذى يساعد الإنسان على مواصلة التقدم والنمو ، وهكذا يرفع هدف رسالة المربى فى هذه الحالة من قيمة التربية الاجتماعية ويجعلها مكانا ساميا ويفرض على المشتغلين بالتربية الاهتمام بها

إن الإنسان اجتماعى ولذلك يحتاج إلى معرفة كيفية الحياة فى هذا المجتمع حتى يستطيع الاندماج فيه والتآلف مع أفراده وتكييف نفسه حسب ظروف المجتمع الذى يوجد فيه ، وهذا شرط أساسى لكى يستطيع بعد ذلك العمل باستمرار والسير فى طريق التقدم . ونمو الأفراد أساس نمو المجتمع وتقدمه، وإذا كان النمو دليل الحياة فى الأفراد فكذلك نجده دليلا على حياة المجتمع

إن رسالة المربى تستخدم التربية الاجتماعية كوسيلة من الوسائل الفعالة فى نمو المجتمع

ونحن نعنى بالتربية الاجتماعية تلك التى تمكن أفراد المجتمع من التآلف بتنمية قدرتهم على التكيف حسب الظروف المحيطة بهم فى المجتمع وحتى يستطيعوا مواصلة التقدم فى الحياة . وهذا هو ما يحتاج إليه المجتمع الإنسانى ، فالتطور الذى انتهى إليه بعد قرون عديدة هو نتيجة خبرات تلك القرون، وتقدمه كله حتى يقف أمامها معظم أفراد المجتمع عاجزين عن فهمها أو حتى من محاولة التفكير فى حلها أو التخلص منها . وما الأزمات والحروب التى تهدد العالم من آن لآخر إلا أعراض تعارض المصالح الانسانية وتضاربها . وعجز الإنسان عن التخلص منها هو الدليل على ضعف التوافق الاجتماعى لديه . لقد عجز أفراد الأسرة العالمية عن تنظيم شؤونها بأنفسهم فأخذت تنحط بعد رقيها وتتأخر بعد تقدمها . ألا يدل ذلك على جهل أفرادها بالخصائص الاجتماعية الضرورية للحياة فى وفاق ووئام . يجب أن تقوم التربية الاجتماعية بهذا التنظيم الإجتماعى فى حدوده الضيقة داخل الأسرة وفى مجاله الكبير بين العالم . إن الذى ينقص الفرد فالأسرة فالمدينة فالدولة فالعالم هو التوافق الاجتماعى،

ولو نجحت التربية فى إيجاد التوافق الاجتماعى لدى الأفراد لاطرد نمو المجتمع ولأصبح العالم كله أسرة كبيرة منسجمة ، يعمل أفرادها فى توافق وانسجام، ويسير ركابها دائما نحو الأمام، ولكن كيف نستطيع التربية الاجتماعيه وتحقيق التوافق الاجتماعى بين الأفراد ؟ إن ذلك من السهولة بمكان . لقد عاش الإنسان مع غيره من الناس فوجد أن الصدق يؤدى فى النهاية إلى تقدم الجميع، فقال : إن الصدق فضيلة. ومن خبرته وجد كما وجد غيره أن الكذب رذيلة . وهكذا نشأت الأخلاق وأخذت تنمو بنمو المجتمع ذلك لأنها ضرورية لا لحياة المجتمع بل لتقدمه أيضا . فظهور الأخلاق نتيجة حتمية لحياة الإنسان الاجتماعيه . ولابد من الأخلاق لصالح المجتمع وبدونها لا تستقيم حياته . فهى التى تحدد نوع العمل الذى يجب أن نعمله وبفضلها نستطيع أن نتبين نوع العمل الذى يجب أن لا نعمله ، لا لأننا لا نرضاه فقد يكون من أحب الأعمال إلى نفوسنا ، ولكن لأنه يتعارض ومصلحة المجتمع الذى نعيش فيه . الأخلاق هى الرقيب على تصرفات المجتمع وأفراده، وهى البوليس الذى يحمى المجتمع ،ورجل المرور الذى يصرف حركاته . وإذا عاش المجتمع بدون أخلاق أصبح كالمدينة بدون البوليس، والشوارع بدون رجل المرور ، أصبح حافلا بالاضطراب والفوضى

لذلك يجب أن تحتل الأخلاق مكانها اللائق فى التربية . فبدون الأخلاق ينهار ما بين أفراد المجتمع من توافق اجتماعى فينهار المجتمع كله . ولهذا اهتمت الأمم الحية فى جميع العصور بالأخلاق حتى أننا نجد الملحدين الذين لا يعترفون بالأديان يهتمون بالأخلاق وبالتمسك بأهدابها . ولقد قامت المذاهب الفلسفية وتعددت ولم نجد من بينها مذهبا واحدا استطاع إغفال ما للأخلاق من أهمية . بل لقد ذهبت بعض المجتمعات إلى حد تقديسها وجعلها هدف التربية الأسمى . ونحن بطبيعة الحال لا ننظر إلى التربية الخلقية إلا من حيث وضعها الطبيعى أى كوسيلة من الوسائل التى تساعد على إيجاد التوافق الاجتماعى اللازم للانسان حتى يستطيع مواصلة نموه والسير فى ركب الحياة دائما أبدا إلى الأمام

ولا يستطيع المؤرخ إغفال تلك الحقيقة التى يجدها ماثلة أمام عينيه باستمرار ، والتى تدل على أهمية الدور الحيوى الذى تلعبه الأخلاق فى المجتمع . ذلك أن عصور التدهور والانحلال فى الأمم ما هى إلا نتيجة الانحلال الخلق الذى يكون قد أصاب الأمة قبل ذلك وأخذ ينخر فى عظامها حتى تقع فى النهاية فريسة سهلة للانقسام الداخلى أو العدو الخارجى . وأن الفرد العادى منا ليلمس نتائج الأخلاق فى حياته . إن الرجل الذى يتمسك بالأخلاق غير ذلك الذى انحلت أخلاقه فهوى إلى الحضيض .. وأسرة ذات أخلاق غير أسرة لا أخلاق لها . وقد لمس الأدباء والشعراء بإحساسهم المرهف ما للأخلاق من قيمة فمجدوها ورفعوا من شأنها . فهى سر بناء الأمم :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموذهبت أخلاقهم ذهبوا

وهى مرجع صلاح أمر الإنسان :

بصلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ولكن ماهي الأخلاق؟ إنها شئ أساسى وضرورى لإيجاد التوافق الاجتماعى ، وهذا هو الذى يحدد معناها . وبمقدار صلاحية الأخلاق فى إيجاد هذا التوافق يكون مقدار ما يجب على الناس أن يتمسكوا به . إن تطور المجتمع يؤدى إلى تغير المستويات الخليقة وتطورها، ذلك أنها بمضى الزمن تصبح غير صالحة للغرض الذى وجدت من أجله أى غير صالحة لإيجاد التوافق الاجتماعى، ولذلك يجب أن لا يتمسك الناس بها . وبهذه النظرة إلى الأخلاق نستطيع التخلص من إطارها الحديدى وسلطانها الديكتاتورى .

ومعنى ذلك أننا لا نهتم بالأخلاق فى حد ذاتها بقدر ما نهتم بالروح الأخلاقية نفسها . يجب أن يهتم رجال التربية بإيجاد تلك الروح الأخلاقية حتى تصبح أساسا يحدد الإنسان بواسطة الأخلاق التى يجب أن يتخلق بها ليكون عضوا عاملا ناجحا فى الحياة . ولكن ليس معنى ذلك أن الأخلاق ليست ذات قيم ثابتة فى الحياة لأننا لا ننادى بتطور معناها وتغيره، وإنما بتطور طريقة تناولها والفهم لها والعمل بها

وما دمنا قد أبرزنا أهمية تنمية الروح الأخلاقية فلابد من الكلام عن أهمية الدين . ذلك أن الأديان السماوية هى التى تحض على الأخلاق القويمة فضلا عن أن الانسان متدين بطبيعته فهو مضطر إلى التفكير فى الصلة التى تربطه بالكون ، ولذلك

٤ ـ أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها)

« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

ويكاد أحمد بن منير الطرابلسي يكون الطغرائي الثاني في مطالع معانيه :

وإذا الكريم رأى الخمول نزيله ... في منزل فالحزم أن يترحلا

كالبدر لما أن تضاءل جد في ... طلب الكمال فحازه متنقلا

سفها لحلمك إن رضيت بمشرب ... رنق ورزق الله قد ملأ اللا

فارق ترق كالسيف سل فبان في ... متنيه ما أخفى القراب وأخملا

لا تحسبن ذهاب نفسك موتة ... ما الموت إلا أن تعيش مذللا

للفقر لا للفقر هبها إنما ... مغناك ما أغناك أن تتوسلا

لا ترض من دنياك ما أدناك من ... دنس وكن طيفا جلا ثم انجلى

أنا من إذا الدهر هم بخفضه ... سامته همته السماك الأعزلا

ولأبي العتاهية مثيل في التذرع بالزهد والتقوى التي هي أوضح السبل إلى جانب الحزم والجد والثبات والحركة ، ذلك هو الصفدي القائل :

الجد في الجد والحرمان في الكسل ... فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

إن الفتى من يعاضي الحزم متصف ... وما تعود نقض القول والعمل

ولا يقيم بأرض طاب مسكنها ... حتى يقد أديم السهل والجبل

ومنها :

ولا يصد عن التقوى بصيرته ... لأنها للمعالي أوضح السبل

والبيان في نظر سهل بن هارون هو سبيل المعالي التي يفصح عنها اللسان يقول : « إن الله رفع درجة اللسان فوق جوارح الجسد ... فهو أداة يظهر بها البيان ... ومفصاح بمعالي الأمور ، ودليل على ما بطن في القلوب . . »

يجب أن تحتل التربية الدينية مكانها اللائق باعتبارها أساسا تنهض عليه الأخلاق القويمة التي لا تتم بدونها التربية الاجتماعية التي تساعد على نجاح عملية التربية

وتنظر رسالة المربي إلى التربية الدينية نظرتها إلى التربية الخلقية . وبهذه النظرة يمكن التحرر من ديكتاتورية التربية الدينية التي قيدت حرية التفكير الإنساني بسلاسل من حديد كما حدث في المجتمع الصليبي خلال العصور الوسطى

وكما تقودنا التربية الاجتماعية إلى الاهتمام بالتربية الخلقية والتربية الدينية فهي كذلك تقودنا أيضا إلى الاهتمام بالتربية البدنية . ذلك أن العلاقة بين الجسم والعقل وتأثير كل منهما في الآخر من القوة بحيث يؤدي إهمال أحدهما إلى إضعاف الآخر . ولما كان غرضنا من الاهتمام بالتربية الاجتماعية إيجاد التوافق بين أفراد المجتمع حتى يسير وينمو ، فذلك يجب أن نعتني بأفراد ذلك المجتمع لا من الناحية العلمية أو الخلقية أو الدينية فحسب ، بل وكذلك من الناحية الصحية حتى تكون سلامة الأبدان مدعاة إلى حفظ العقول والتمسك بالأخلاق ، وحتى يتم التوافق والانسجام بين قوى الفرد ونوازعه المختلفة فيؤدي ذلك إلى توافق أفراد المجتمع وانسجامهم . وهكذا نجد للتربية البدنية أهميتها التي لا تقل عن التربية العقلية والخلقية والدينية فكلها تشترك في نمو الإنسان وتقدمه

وما دمنا نريد ترقية المجتمع ونموه فيجب تربية جميع أفراده بلا استثناء أي إلى إقرار مبدإ تكافؤ الفرص وتوطيد العدل الاجتماعي ، وسيؤدي ذلك إلى أن تصبح المواهب والميول الطبيعية هي الأساس الذي يحدد مستقبل الأفراد

بمراعاة ذلك كله يتم التوافق الاجتماعي بين الأفراد ، وتزول من المجتمع مظاهر التعارض والشذوذ ، ويحل الانسجام والوئام ، محل التنافر والخصام ، ويسير المجتمع في رقيه وتقدمه إلى الأمام .

كمال السيد درويش

ليسانس الآداب بامتياز — دبلوم معهد التربية العالي
مدرس بالرمل الثانوية